

التتبييه

على الفهم الخاطىء

لأدلة التشبييه
كتبه

أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله العالم العلام واسع العطاء والإنعام، خلق الخلق وفاضل فيما بينهم في الأفهام، ومنَّ عليهم بإرسال الرسل خير الأنام، فدعوا الخلق إلى داره دار السلام، وختمهم بمحمد فاكتمل به بناؤهم على التمام، وأنزل معهم الكتب فيها العظة وخير الأحكام، وختم تلك الكتب بالقرآن مسك الحتام، وجعله مهيمناً عليها على مر الأعوام. فاهتدى بذلك من أراد الله هدايته من الأنام، وصار منهم الاتقياء ومن هو أضل من الأنعام. أحمدته حمداً عاماً بعد عام، وأصلي وأسلم على نبيه بدر التمام، وعلى صحبه الصحب الكرام، الذين نشروا الإسلام حتى انتشر الضياء وانسلخ من بلاد الكفر الظلام.

﴿أما بعد﴾ / فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَوْفَرِ الْمُنَنِ الْفَهْمَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿روى البخاري (١١١) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ: ((لَا، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: قُلْتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ: الْعَقْلُ وَفِكَائُ الْأَسِيرِ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ))﴾.

﴿قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في [فتح الباري] (١/ ٢٠٤):

((والظاهر أنَّ الاستثناء فيه منقطع والمراد بذكر الفهم إثبات إمكان الزيادة على ما في الكتاب وقد رواه المصنف في الديات بلفظ ما عندنا إلَّا ما في القرآن إلَّا فهما يعطي رجل في الكتاب فلا استثناء الأول مفرغ، والثاني منقطع معناه لكن إن أعطى الله رجلاً فهماً في كتابه فهو يقدر على الاستنباط فتحصل عنده الزيادة بذلك الاعتبار))).

﴿وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [زاد المعاد] (٤/ ٤١٤):

((وَحُسْنُ الْفَهْمِ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنْ يَمُنُّ بِاللَّهِ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ))).

﴿وقال رحمه الله في [الجواب الكافي] (ص: ١٤٨):

((وَمَا أَوْتِيَ أَحَدٌ - بَعْدَ الْإِيمَانِ - أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ))).

﴿وقال رحمه الله في [الروح] (ص: ٦٣):

((بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع))).

﴿قلت: وسوء الفهم أحد الأسباب الستة في ضياع العلم.

❦ قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [مفتاح دار السعادة] (١/ ١٧٢):

((والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة أحدها: ترك السؤال، الثاني: سوء الإنصات وعدم القاء السمع، الثالث: سوء الفهم، الرابع: عدم الحفظ، الخامس: عدم نشره وتعليمه فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله، وهذا أمر يشهد به الحس والوجود. السادس: عدم العمل به فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه فإذا أهمل العمل به نسيه. قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به، وقال بعض السلف أيضاً: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حلَّ وإلا ارتحل. فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته وترك العمل به أضاعه له فما استدر العلم ولا استجلب بمثل العمل)).

❦ قلت: ومن سوء الفهم عن الله ورسوله ما يتعلق بفهم أدلة التشبيه سواء في أدلة الوعد أو الوعيد أو سائر الأخبار وسوف أنبه غي هذا المختصر على بعض الأمثلة التي حصل فيها سوء الفهم لمعناها حتى يحتذي المحتذي على هذا المنوال فيما سواها وبالله التوفيق وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

❦ الفصل الأول: بيان أنَّ التشبيه يستقيم أن يكون بوجه من الوجوه ❦

❦ **أقول:** إنَّ تشبيه شيء بشيء يستقيم ولو كان بوجه من الوجوه فأكثر وإن لم يكن من جميع الوجوه، وعلى هذا سائر الأمثلة التشبيهية في القرآن والسنة ومن ذلك:

❦ قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُرِبُكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

❦ **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في [تفسيره] (١/ ٤٨٠): ((ثم ضرب لهم تعالى مثلاً كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ [النحل: ٦٠] فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط)).

❦ **أقول:** تشبيه الكفار بالأنعام من هذا الوجه وليس من كل الوجوه.

❦ ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

❦ وقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

❦ **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في [تفسيره] (٣/ ٥١٤): ((وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونونه ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلّا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا)).

❦ **وقال العلامة ابن القيم** رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ١٥٩):

((والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له وجعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام لأنَّ البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالاً والأكثرين يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجنبه وما ينفعها فتؤثره والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوباً تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأبصار فهم أضل من البهائم فإنَّ من لا يهتدي إلى الرشd وإلى الطريق مع الدليل إليه أضل وأساء حالاً ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه)).

﴿ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلِمْنَا أَنَّ الْبَشَرَ لَكَاذِبِينَ﴾ فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ قَحِمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَ كَمَا يُلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

﴿وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ١٦٥-١٦٧):

((فشبه سبحانه من أتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودينه على آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخبت الحيوانات وأوضعها قدراً وأحسها نفساً وهمته لا تتعدى بطنه وأشدّها شرهاً وحرصاً ومن حرصه أنّه لا يمشي إلّا وخطمه في الأرض بتشمم ويستروح حرصاً وشرهاً ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاه بالدنيا والجيف القدرة المروحة أحب إليه من اللحم الطري والعذرة أحب إليه من الحلوى وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلباً واحداً يتناول منها شيئاً إلّا هر عليه وقهره لحرصه وبخله وشره ومن عجيب أمره وحرصه أنّه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية نبهه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنارعتة في قوته وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه رأسه.

وفي تشبيهه من أثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع وهو أنّ الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنّما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللفف عليها ولهفه نظير لفف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه واللفف واللفف شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنّما فؤاده منقطع.

قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنّه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عنها وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء فالكلب من أقل الحيوانات صبراً عن الماء وإذا عطش أكل الثرى من العطش وإن كان فيه صبر على الجوع وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهثاً يلهث قائماً وقاعداً وماشياً وواقفاً وذلك لشدة حرصه فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث فهكذا مشبهه شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهف فإن حملت عليه الموعظة والنصيحة فهو يلهف وإن تركته ولم تعظه فهو يلهف. قال مجاهد: وذلك مثل الذي أوتي الكتاب ولم يعمل به. وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها وإن تركته لم يهتد إلى خير كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث.

وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق دعي أو لم يدع وعظ أو لم يعظ كالكلب يلهث طرد أو ترك.

وقال عطاء: ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه.

وقال أبو محمد بن قتيبة: كل شيء يلهث فيأثما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الصحة وحال المرض والعطش فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته وقال إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهثه ((.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْمَاءُ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِمَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ١٦٥):

((فقياس من حملة سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملة على ظهره ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته ((.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ الدَّكَرِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ١٦٤):

((شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأّت الأسد أو الرماة ففرت منه وهذا من بديع القياس والتمثيل فإنّ القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر وهي لا تعقل شيئاً فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشدّ النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عمّا يهلكها ويعقرها وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنّها لشدة نفورها قد استنفرت بعضها بعضاً وحضه على النفور فإنّ في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد فكأنّها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أنّ القسورة استنفرتها وحملها على النفور بئاسه وشدته ((.

قلت: والغرض من ذكرى هذه الأمثلة هو بيان أنّ التشبيه يكون ببعض الوجوه وإلا فإنّ تشبيه هؤلاء بالكلاب والحمير والحمر والأنعام ليس من كل وجه.

ومن السنة ما رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَفْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ((.

قلت: وهذا التشبيه في الأجر، وإلا فإنَّ من كان عليه نذر شيء من بهيمة الأنعام فلا يجزؤه ذلك، ومن ولد له مولود فلا يجزؤه ذلك عن العقيقة، ومن فعل ذلك في يوم الأضحى إن وافق يوم الجمعة فلا يجزؤه عن الأضحية ولا الهدي.

ومن ذلك ما رواه مسلم (٢٢٦٠) عن بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَعَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**)) .

والتشبيه في هذا الموضع باعتبار أنَّ كل منهما يدعوان إلى أكل الحرام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٢٦ / ٣٢):

((فإنَّ الغامس يده في ذلك يدعوه إلى أكل الخنزير وذلك مقدمة أكله وسببه وداعيته فإذا حرم ذلك فكذلك اللعب الذي هو مقدمة أكل المال بالباطل وسببه وداعيته)) .

قلت: ولو كان التشبيه من كل وجه لوجب على من مس النردشير أن يغسل يده كمن يغسل يده من غمسها في لحم الخنزير ودمه.



﴿الفصل الثاني: في ذكر جملة من الأمثلة في التشبيه مما يخطئ في فهمه كثير من الناس﴾

﴿المثال الأول﴾

﴿قول الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿أقول: فقد شبه الله تعالى قتل النفس الواحدة بقتل جميع الناس ولا شك أنه لا يوجد تماثل تام بين من قتل نفساً واحدة وبين من قتل جميع الناس.

﴿قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الجواب الكافي] (ص: ١٤٨-١٤٩):

((وَقَدْ أَشْكَلَ فَهْمُ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ: مَعْلُومٌ أَنَّ إِثْمَ قَاتِلِ مِائَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِثْمِ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا أَتَوَهُ مِنْ ظَنِّهِمْ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي مِقْدَارِ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّفْظُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى هَذَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ أَخْذُهُ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [سُورَةُ الْأَحْقَافِ: ٣٥].

وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنَّ لُبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْمِقْدَارَ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ»، أَيُّ: مَعَ الْعِشَاءِ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ، وَأَصْرَحَ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ

وَاتَّبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ»، وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ قَرَأَ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "

فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ثَوَابَ فَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَبْلُغْ ثَوَابَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَيَكُونُ قَدْرُهَا سَوَاءً، وَلَوْ كَانَ

قَدْرُ الثَّوَابِ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لِمُصَلِّيِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مَنَفَعَةٌ غَيْرُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ -

بَعْدَ الْإِيمَانِ - أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْرِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

فَإِنْ قِيلَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَقَاتِلِ النَّاسِ جَمِيعًا؟

قِيلَ: فِي وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُخَالَفٌ لِأَمْرِهِ مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَتِهِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا قَدْ بَاءَ بِغَضَبِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ، وَاسْتَحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِعْدَادِهِ عَذَابًا عَظِيمًا، وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي دَرَجَاتِ الْعَذَابِ، فَلَيْسَ إِثْمُ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ عَالِمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، كَأِثْمِ مَنْ قَتَلَ مَنْ لَا مَرِيَّةَ لَهُ مِنْ أَحَادِ النَّاسِ.

الثاني: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي اسْتِحْقَاقِ إِزْهَاقِ النَّفْسِ.

الثالث: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي الْجَزَاءِ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، بَلْ لِمُجَرَّدِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ لِأَخْذِ مَالِهِ: فَإِنَّهُ يَجْزِي عَلَى قَتْلِ كُلِّ مَنْ ظَفَرَ بِهِ وَأَمَكَنَهُ قَتْلُهُ، فَهُوَ مُعَادٍ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ.

ومنها: أَنَّهُ يُسَمَّى قَاتِلًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ عَاصِيًا بِقَتْلِهِ وَاحِدًا، كَمَا يُسَمَّى كَذَلِكِ بِقَتْلِهِ النَّاسَ جَمِيعًا.

ومنها: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ، فَإِذَا أَتَلَفَ الْقَاتِلُ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ عُضْوًا، فَكَأَنَّمَا أَتَلَفَ سَائِرَ الْجَسَدِ، وَلَمْ يَجْمَعْ أَعْضَائِهِ، فَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا آذَى جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي آذَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ آذَى جَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُدَافِعُ عَنِ النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ، فَإِيْدَاءُ الْخَفِيرِ إِيْدَاءُ الْمَخْفُورِ ((.

وقال رحمه الله في [شفاء العليل] (ص: ١٩٥):

((فإن قلت: كيف يكون قتل أحد بني آدم للآخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم وإذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟!))

قلت: الرب سبحانه يجعل أقضيته وأقداره عللاً وأسباباً لشرعة وأمره فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمه الديني الأمري وذلك أَنَّ القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فحرم أمره وعظم شأنه وجعل إثمه أعظم من إثم غيره ونزل قاتل النفس الواحدة بمنزلة قاتل الأنفس كلها **ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه** فإذا كان قاتل الأنفس كلها يصلى النار وقاتل النفس الواحدة يصلها صح تشبيهه به كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير وإن اختلف مقدار الإثم، وكذلك من زنى مرة واحدة وآخر زنى مراراً كثيرة كلاهما آثم وإن اختلف قدر الإثم وهذا معنى قول مجاهد: "من قتل نفساً واحدة يصلى النار بقتلها كما يصلها من قتل الناس جميعاً" وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه، وإن شئت قلت: التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها فإنه لا يختلف بقلة القتل وكثرته كما لو شرب قطرة فإنَّ حدَّه حد من شرب راوية، ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف وهذا تأويل الحسن وابن زيد قالوا: "يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً" ولك أن تجعل التشبيه في الأذى والغم الواصل إلى المؤمنين بقتل الواحد منهم فقد جعلهم كلهم خصماء وأوصل إليهم من الأذى والغم ما يشبه القتل وهذا تأويل ابن الأنباري وفي الآية تأويلات أخر ((اهـ.



المثال الثاني

ما رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**)).

وفي لفظ لمسلم (٢٦١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**)).

قلت: والضمير في قوله: (**صُورَتِهِ**) عائد على الله تعالى كما قاله أئمة السلف.

وهذا التشبيه الوارد في الحديث لا يستلزم مماثلة الخالق للمخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله في [بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية] (٦/ ٣٧٣ - فما بعدها):

((والكلام على ذلك أن يقال هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أنَّ الضمير عائد إلى الله فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك وهو أيضاً مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب كالتوراة وغيرها ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته ويروي بعضه كما يكره رواية لبعض الأحاديث لمن يخاف أنَّ نفسه ويفسد عقله أو دينه كما قال عبد الله بن مسعود: ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنه لبعضهم وفي البخاري عن علي بن أبي طالب أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أحبُّون أن يكذب الله ورسوله وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول مطلقاً بل لا بد أن يبلغوه حيث يصلح ذلك ولهذا اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه وإنما دخلت الشبهة في الحديث لتفريق ألفاظه فإنَّ من ألفاظه المشهورة:

"**إذا قاتل أحدكم فليقتل الوجه فإن الله خلق آدم على صورته ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته**" وهذا فيه حكم عملي يحتاج إليه الفقهاء وفيه الجملة الثانية الخبرية المتعلقة بلا وكثير من الفقهاء روى الجملة الأولى فقط وهي قوله: "**فإذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه**" ولم يذكر الثانية وعامة أهل الأصول والكلام إنما يروون الجملة الثانية وهي قوله: "**خلق الله آدم على صورته**" ولا يذكرون الجملة الطلبية فصار الحديث متواتراً بين الطائفتين وصاروا متفقين على تصديقه لكن مع تفريق بعضه عن بعض وإن كان محفوظاً عند آخرين من علماء الحديث وغيرهم وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء في إخباره بخلق آدم في ضمن حديث طويل إذا ذكر على وجهه زال كثير من الأمور المحتملة ولكن ظهر لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم ولذلك لأنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة ((.

إلى أن قال رحمه الله: ((وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة ما ذكره إسحاق بن منصور الكوسج في مسائله

المشهورة عن أحمد وإسحاق أنه قال لأحمد: "لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته" أليس تقول بهذه الأحاديث قال أحمد: صحيح. وقال إسحاق: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي وذكر أيضاً عن يعقوب ابن بختان أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته" فقال لا تفسره ما لنا أن نفسره كما جاء الحديث.

قال الخلال وأخبرنا أبو بكر المروزي قال قلت لأبي عبد الله كيف تقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته" قال الأعمش يقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر. قال: وقد رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم على صورته فنقول كما جاء في الحديث. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: لقد سمعت الحميدي يحضره سفيان بن عيينة فذكر هذا الحديث: "خلق الله آدم على صورته" فقال: من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا يعني من الشتم وسفيان ساكت لا يرد عليه شيئاً. قال المروزي أظن أني ذكرت لأبي عبد الله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته" قال: صورة الطين. قال: هذا جهمي. وقال: نسلم الخبر كما جاء. وروى الخلال عن أبي طالب من وجهين قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه.

قال الخلال وأخبرنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله قيل له أي شيء أنكر على بشر بن السري وأي شيء كانت قصته بمكة قال: تكلم بشيء من كلام الجهمية فقال إن قوماً يجدون قيل له التشبيه فأوماً برأسه نعم فقال فقام به مؤمل حتى جلس فتكلم ابن عيينة في أمره حتى أخرج وأراه كان صاحب كلام.

وقال الخلال أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني قال سمعت إسحاق بن راهوية يقول: قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق آدم على صورة الرحمن" إنما عليه أن ينطق بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نطق به قال إسحاق حدثنا جرير عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن" فقد صحح إسحاق حديث ابن عمر مسنداً خلافاً ما ذكره ابن خزيمة.

قال الخلال أنا يعقوب بن سفيان الفارسي قال حدثنا محمد بن حميد حدثنا الفرات ابن خالد عن سفيان الثوري عن أبي الزناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق آدم على صورته". وقال الخلال إن علي بن حرب الطائي حدثنا زيد ابن أبي الزرقاء عن ابن لهيعة عن أبي يونس والأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن عز وجل"

وما كان من العلم الموروث عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلنا أن نستشهد عليه بما عند أهل الكتاب كما قال تعالى:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ (٤٣)﴾ [الرعد ٤٣] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَتَبْلُغَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

الْمُشْرِكِينَ (١٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٩٥) ﴿ [يونس ٩٤-٩٥]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرُكُمْ بِهِ وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾

[الأحقاف ١٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١٩٧) ﴾ [الشعراء ١٩٦-١٩٧] وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيَّبْنَا اللَّهُ ابْنَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ

مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١١٤) ﴾

[الأنعام ١١٤] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) ﴾ [الأنعام ٢٠] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنْ

الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [الرعد ٣٦] وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره تميم بخبر

الدجال والجساسة فرح بذلك وقال حدثني حديثاً يوافق ما كنت حدثكموه.

إذا عرف ذلك فيقال: أمّا عود الضمير إلى غير الله فهذا باطل من وجوه:

أحدها: أن في الصحيحين ابتداء "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا"، وفي أحاديث أخر: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ

آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ولم يتقدم ذكر أحد يعود الضمير إليه وما ذكر بعضهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً

يضرب رجلاً ويقول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" أي على صورة هذا

المضروب فهذا شيء لا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث.

الثاني: أن الحديث الآخر لفظه: "إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" وليس في هذا ذكر

أحد يعود الضمير إليه.

الثالث: أن اللفظ الذي ذكره ابن خزيمة وتأويله وهو قوله: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ قَبِحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهًا أَشْبَهَ وَجْهَكَ فَإِنَّ

اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ليس فيه ذكر أحد يصلح عود الضمير إليه وقوله في التأويل أراد صلى الله عليه وسلم أن الله

خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناّب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر صلى الله عليه وسلم

أن يقول ووجه من أسبه وجهك يقال له: لم يتقدم ذكر مضروب فيما رويته عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في

لفظه ذكر ذلك بل قال: "إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ولم يقل: إذا قاتل أحدكم

أحدًا وإذا ضرب أحدًا والحديث الآخر ذكرته من رواية الليث بن سعد ولفظه: "وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ قَبِحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهًا

أَشْبَهَ وَجْهَكَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" وليس في هذا ذكر مر حتى يصلح عود الضمير إليه. فإن قيل قد يعود

الضمير إلى ما دل عليه الكلام وإن لم يكن مذكورًا كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ

من فضله هو خير المهن [آل عمران ١٨٠] أي البخل لأنَّ لفظ ييخلون يدل على المصدر الذي هو البخل ومنه قول الشاعر:

إذا نهي السفية جرى إليه *** وخالف والسفيه إلى خلاف. أي إلى السفه. قيل: هذا إنما يكون فيما لا لبس فيه حيث لم يتقدم ما يصلح لعود الضمير إليه إلا ما دل عليه الخطاب فيكون العلم بأنَّه لا بد للظاهر من مضمير يدل على ذلك أمَّا إذا تقدم اسم صريح قريب إلى الضمير فلا يصلح أن يترك عوده إليه ويعود إلى شيء متقدم لا ذكر له في الخطاب وهذا مما يعلم بالضرورة فساده في اللغات.

الرابع: أنَّه في مثل هذا لا يصلح إفراد الضمير فإنَّ الله خلق آدم على صورة بنيه كلهم فتخصيص واحد لم يتقدم له ذكر بأنَّ الله خلق آدم على صورته في غاية البعد لاسيما وقوله: **"وإذا قاتل أحدكم"**، و**"إذا ضرب أحدكم"** عام في كل مضروب والله خلق آدم على صورهم جميعهم فلا معنى لإفراد الضمير وكذلك قوله: **"لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك"** عام في كل مخاطب والله قد خلقهم كلهم على صورة آدم.

الخامس: أنَّ ذرية آدم خلقوا على صورة آدم لم يخلق آدم على صورهم فإنَّ مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم وجوده لا يقال إنَّه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود كما يقال خلق الخلق على غير مثال أو نسج هذا على مثال هذا ونحو ذلك فإنَّه في جميع هذا إنما يكون المصنوع المقيس متأخرًا في الذكر عن المقيس عليه وإذا قيل خلق الولد على صورة أبيه أو على خلق أبيه كان كلامًا سديدًا، وإذا قيل خلق الوالد على صورة ولده أو على خلقه كان كلامًا فاسدًا بخلاف ما إذا ذكر التشبيه بغير لفظ الخلق وما يقوم مقامه مثل أن يقال الوالد يشبه ولده فإنَّ هذا سائغ لأنَّ قوله خلق إخبار عن تكوينه وإبداعه على مثال غيره ومن الممتنع أنَّ الأول كون على مثال ما لم يكن بعد وإنما يكون على مثال ما قد كان.

السادس: أنَّه إذا كان المقصود أنَّ هذا المضروب والمشتوم يشبه آدم فمن المعلوم أنَّ هذا من الأمور الظاهرة المعلومة للخاص والعام فلو أريد التعليل بذلك لقل فإنَّ هذا يدخل فيه الأنبياء أو فإنَّ هذا يدخل فيه آدم ونحو ذلك من العبارات التي تبين قبح كلامه وهو اشتغال لفظه على ما يعلم هو وجوده أمَّا مجرد إخباره بما يعلم وجوده كل أحد فلا يستعمل في مثل هذا الخطاب.

السابع: أنَّه إذا أريد جرد المشابهة لآدم وذريته لم يحتج إلى لفظ خلق على كذا فإنَّ هذه العبارة إنما تستعمل فيما فعل على مثال غيره بل يقال فإنَّ وجهه يشبه وجه آدم أو فإنَّ صورته تشبه صورة آدم.

الثامن: أن يقال هب أنَّ هذه العلة تصلح لقوله: **"لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك"** فكيف يصلح لقوله: **"إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه"** ومعلوم أنَّ كون صورته تشبه صورة آدم لا توجب سقوط العقوبة عنه فإنَّ الإنسان لو كان يشبه نبيًا من الأنبياء أعظم من مشابهة الذرية لأبيهم في مطلق الصورة والوجه ثم وجبت على ذلك

الشبيه بالنبي عقوبة لم تسقط عقوبته بهذا الشبه باتفاق المسلمين فكيف يجوز تعليل تحريم العقوبة بمجرد المشابهة المطلقة لآدم.

الناسخ: أنَّ في ذرية آدم من هو أفضل من آدم وتناول اللفظ لجميعهم واحد فلو كان المقصود بالخطاب ليس ما يختص به آدم من ابتداء خلقه على صورة بل المقصود مجرد مشابهة المضروب المشتوم له لكان ذكر سائر الأنبياء والمرسلين بالعموم هو الوجه وكان تخصيص غير آدم بالذكر أولى كإبراهيم وموسى وعيسى وإن كان آدم أبوهم فليس هذا المقام مقاماً له به اختصاص على زعم هؤلاء.

العاش: وهو قاطع أيضاً أن يقال كون الوجه يشبه وجه آدم هو مثل كون سائر الأعضاء تشبه أعضاء آدم فإنَّ رأس الإنسان يشبه رأس آدم ويده تشبه يده ورجله تشبه رجله وبطنه وظهره وفخذه وساقه يشبه بطن آدم وظهره وفخذه وساقه فليس للوجه بمشابهة آدم اختصاص بل جميع أعضاء البدن بمنزلته في ذلك فلو صلح أن يكون هذا علة لمنع الضرب لوجب أن لا يجوز ضرب شيء من أعضاء بني آدم لأنَّ ذلك جميعه على صورة أبيهم آدم وفي إجماع المسلمين على وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين وإقامة الحدود مع كونها مشابهة لأعضاء آدم وسائر النبيين دليل على أنه لا يجوز المنع من ضرب الوجه ولا غيره لأجل هذه المشابهة.

الوجه الحادي عشر: أنه لو كان علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم لنهي أيضاً عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء لا يقولن أحدكم قطع الله يدك ويد من أشبه يدك.

الوجه الثاني عشر: أنَّ ما ذكره من تأويل ذلك فإنه إبطال لقول من يقول: إنَّ آدم كان على صورة أخرى مثل ما يقال إنَّه كان عظيم الجثة طويل القامة وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى إنسان معين وقال: "إنَّ الله خلق آدم على صورته" أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة يقال لهم الحديث المتفق عليه في الصحيحين مناقض لهذا التأويل مصرح فيه بأنَّ خلق آدم أعظم من صور بنيه بشيء كثير وهذا. لم يكن على شكل أحد من أبناء الزمان كما في الصحيحين عن همام بن منية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاسمه ما يحيونك فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن". قال في رواية يحيى بن جعفر ومحمد بن رافع على صورته فهذا الحديث الذي هو أشهر الأحاديث التي فيها أنَّ الله خلق آدم على صورته ذكر فيه أنَّ طوله ستين ذراعاً وأنَّ الخلق لم يزل ينقص حتى الآن وأنَّ أهل الجنة يدخلون على صورة آدم ولم يقل إنَّ آدم على صورتهم بل قال هم على صورة آدم وقد روي أنَّ عرض أحدهم سبعة أذرع فهل في تبديل كلام الله ورسوله أبلغ من هذا أن يجعل ما أثبتته النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر به وأوجب التصديق به قد نفاه وأبطله وأوجب تكذيبه وإبطاله.

الوجه الثالث عشر: أنه قد روي من غير وجه على صورة الرحمن.

فصل: وأمّا قول من قال الضمير عائد إلى آدم كما ذكر ذلك للإمام أحمد عن بعض محدثي البصرة ويذكر ذلك عن أبي ثور فهو كما قال الإمام أحمد هذا تأويل الجهمية وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه وقد زعم المؤسس أنّه أولى الوجوه الثلاثة وليس كما ذكره بل هو أفسد الوجوه الثلاثة ولهذا لم يعدل إليه ابن خزيمة إلّا عند الضرورة لرواية من روى على صورة الرحمن ولقوله ابتداء: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" فأما حيث ظن أنّ التأويل الأول ممكن فلم يقل هذا وبيان فساد من وجوه:

أحدها: أنّه إذا قيل إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة آدم أو لا تقبحوا الوجه ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإنّ الله خلق آدم على صورة آدم كان هذا من أفسد الكلام فإنّه لا يكون بين العلة والحكم مناسبة أصلاً فإنّ كون آدم مخلوقاً على صورة آدم فأبي تفسير فسر ليس في ذلك مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه ولا عن تقبيحها وتقبيح ما يشبهها وإمّا دخل التلبس بهذا التأويل حيث فرق الحديث فروي قوله: "إذا قاتل أحدكم فليقتل الوجه" مفرداً وروي قوله: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" مفرداً أمّا مع أداء الحديث على وجهه فإنّ عود الضمير إلى آدم يمتنع فيه وذلك أنّ خلق آدم على صورة آدم سواء كان فيه تشريف لآدم أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع فلا يناسب هذا الحكم.

الوجه الثاني: أنّ الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم بأي وجه فسر ذلك فلا فرق بين الوجه وسائر الأعضاء في هذا الحكم فلو كان خلق آدم على صورة آدم مانعاً من ضرب الوجه أو تقبيحه لوجب أن يكون مانعاً من ضرب سائر الأعضاء وتقبيح سائر الصور وهذا معلوم الفساد في العقل والدين وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام وإضافة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا صدر إلّا عن جهل عظيم أو نفاق شديد إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه وبيانه كما يذكر أن بعض الزنادقة سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَأَذَانَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل ١١٢] فقال وهل يذاق اللباس فقالت له امرأة: هبك تشك في بداية العقول أو يعلل حكم المحل بعلة لا تعلق لها به فإن هذا مثل أن يقال لا تضربوه وجوه بني آدم فإنّ أباهم له صفات يختص هو بها دونهم مثل كونه خلق من غير أبوين أو يقال لا تضربوا وجوه بني آدم فإنّ أباهم خلق من غير أبوين.

الوجه الثالث: أنّ هذا تعليل للحكم بنا يوجب نفيه وهذا من أعظم التناقض وذلك أنّهم تأولوا الحديث على أنّ آدم لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة وعلى أنّه لم يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر وبنوه قد خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة وخلقوا في مدة من عناصر الأرض فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقبيحه كونه خلق على ذلك الوجه وهذه العلة منتفية في بنيه فينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها لانتفاء العلة فيها فإنّ آدم هو الذي خلق على صورته دونهم إذ هم لم يخلقوا كما خلق آدم على صورهم التي هم عليها بل نقلوا من نطفة إلى علقه إلى مضغة.

الوجه الرابع: ما أبطل به الإمام أحمد هذا التأويل حيث قال: من قال إنّ الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه وهذا الوجه الذي ذكره الإمام أحمد يعم الأحاديث يعم قوله ابتداء: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ"

على صورته طوله ستون ذراعاً ويعم قوله: **"لا تقبحوا الوجه وإذا ضرب أحدكم فليتنق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته"** وذلك أن قوله: **"خلق الله آدم على صورته"** يقتضي أنه كان له صورة قبل الخلق خلقه عليه فإن هذه العبارة لا تستعمل إلا في مثل ذلك وبمثل هذا أبطلنا من يقول إن الضمير عائد إلى المضروب فإن المضروب متأخر عن آدم ولا يجوز في مثل هذا الكلام أن تكون الصورة التي خلق عليها آدم متأخرة عن حين خلقه سواء كانت هي صورته أو صورة غيره فإذا قيل عملت هذا على صورة هذا أو على مثال هذا أو لم يعمل هذا على صورة غيره أو لم يعمل على مثال أو لم ينسج على منوال غيره كما يقال في تمجيد الله تعالى خلق الله العالم على غير مثال والإبداع خلق الشيء على غير مثال ونحو ذلك من العبارات كان معناها المعلوم بالاضطرار من اللغة عند العامة والخاصة أن ذلك على صورة ومثال متقدم عليه أو لم يعمل على صورة ومثال متقدم عليه وذلك أن هذا اللفظ تضمن معنى القياس فقلوه خلق أو عمل أو صنع على صورة كذا أو مثاله أو منواله تضمن معنى قيس عليه وقدر عليه وإذا كان كذلك فجميع ما يذكر من التأويلات مضمونه أو صورته تأخرت عنه فتكون باطلة، وأيضاً فمن المعلوم بالضرورة أنه لم تكن لآدم صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقها الله تعالى.

الوجه الخامس: أن جميع ما يذكر من التأويل كقول القائل خلق آدم على صورة آدم موجود نظيره في جميع المخلوقات فإنه إن أريد بذلك على صورتها الثابتة في القدر في علم الله وكتابه أي على صفتها التي هي عليها أو غير ذلك فهذا موجود نظيره في سائر المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما ومن الملائكة والجن والبهائم بل وذرية آدم كذلك فإنهم خلقوا على صورهم كما يذكرونه في معنى قولهم خلق الله آدم على صورة آدم فإن كون آدم على صورته يعني شبيهاً موجود في صور هذه الأمور وأما كونه خلق على هذه الصورة ابتداء أو فيغير مدة فإنه لم يخلق إلا من حال إلى حال من التراب ثم من الطين ثم من الصلصال كما خلق بنوه من النطفة ثم العلقة ثم المضغة فلا منافاة في الحقيقة بين الأمرين فإذا جاز أن يقال في أحدهما إنه خلق على صورته رغم تنقله في هذه الأطوار جاز أن يقال في الآخر خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار وإذا كان كذلك فمن المعلوم بالاتفاق أن قوله خلق آدم على صورته هي من خصائص آدم وإن كان بنوه تبعاً له في ذلك كما خلقه الله تعالى بيديه وأسجد له ملائكته علم بطلان ما يوجب الاشتراك ويزيل الاختصاص.

الوجه السادس: أن المعنى الذي تدل عليه هذه العبارة التي ذكرها هو من الأمور المعلوم ببديهة العقل التي لا يحسن بيانها والخطاب بها لتعريفها بل لأمر آخر فإن قول القائل إن الشيء الفلاني خلق على صورة نفسه لا يدل لفظه على غير ما هو معلوم بالعقل أن كل مخلوق فإنه خلق على الصورة التي خلق عليها وهذا المعنى مثل أن يقال أوجد الله الشيء كما أوجده وخلق الله الأشياء على ما هي عليه وعلى الصورة التي هي عليها ونحو ذلك مما هو معلوم ببديهة العقل ومعلوم أن بيان هذا وإيضاحه قبيح جداً.

الوجه السابع: أن دلالة قول القائل خلق آدم على صورة آدم على ما يدعونه من معانٍ آخر مثل كونه غير مخلوق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أو كونه لم يخلق في مدة ومن مادة أو لم يخلق بواسطة القوى والعناصر مما لا جليل عليه بحال فإن هذا اللفظ لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه فلا بد أن يبين وجه دلالة اللفظ على المعنى من جهة اللغة

ويذكر له نظير في الاستعمال الوجه الثامن أن رواية الحديث من وجوه فسائر الألفاظ تبطل عود الضمير إلى آدم مثل قوله: **"لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن"** وقوله في الطريق الآخر من حديث أبي هريرة: **"إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن"**. وقول ابن عباس فيما يذكره عن الله تعالى تعمد إلى خلق من خلقي خلقتهم على صورتي فتقول لهم اشربوا يا حمير فأما قوله إن حديث ابن عمر قد ضعفه ابن خزيمة فإن الثوري أرسله فخالف فيه الأعمش وأن الأعمش وحبيباً مدلسان فيقال قد صححه إسحاق بن راهوية وأحمد ابن حنبل وهما أجل من ابن خزيمة باتفاق الناس وأيضاً فمن المعلوم أن عطاء ابن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون قد سمعه من أحد وإذا كان في إحدى الطريقتين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بياناً وتفسيراً لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى ولم يكن هذا اختلافاً أصلاً وأيضاً فلو قدر لأن عطاء لم يذكره إلا مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم أن عطاء من أجل التابعين قدراً فإنه هو وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي والحسن البصري أئمة التابعين في زمانهم وقد ذكر المصنف لهذا الحديث كابن خزيمة أن الأخبار في مثل هذا الجنس الذي توجب العلم هي أعظم من الأخبار التي توجب العمل ومعلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده ولهذا يجعل الفقهاء احتجاج المرسل بالخبر الذي أرسله دليلاً على ثبوته عنده فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الباب العظيم أيستجيز ذلك من غير أن يكون ثابتاً عنده أن يكون قد سمعه من مجهول لا يعرف أو كذاب أو سيئ الحفظ وأيضاً فاتفق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح وحبيب بن أبي ثابت والأعمش والثوري وأصحابهم من غير تكبر سمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر مع أن هذه الروايات المتنوعة في مظنة الاشتهار دليل على أن علماء الأمة لم تنكر إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا وكرهه بعضهم لرواية ذلك في بعض الأوقات له نظائر فإن الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال وإن كان متفقاً عليه بين علماء المسلمين وأيضاً فإن الله قد وصف هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس وأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فمن الممتنع أن يكون في عصر التابعين يتكلم أئمة ذلك العصر بما هو كفر وضلال ولا ينكر عليهم أحد فلو كان قوله خلق آدم على صورة الرحمن باطلاً لكانوا كذلك وأيضاً فقد روي بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة والحديث المروي من طريقين مختلفين لم يتواطأ رواتهما يؤيد أحدهما الآخر ويستشهد له ويعتبر به بل قد يفيد ذلك العلم إذ الخوف في الرواية من تعمد الكذب أو من سوء الحفظ فإذا كان الرواة ممن يعلم أنهم لا يتعمدون الكذب أو كان الحديث ممن لا يتواطأ في العادة على اتفاق الكذب على لفظه لم يبق إلا سوء الحفظ فإذا كان قد حفظ كل منهما مثل ما حفظ الآخر كان ذلك دليلاً على أنه محفوظ لا سيما إذا كان ممن جرب بأنه لا ينسى لما فيه من تحريه اللفظ والمعنى ولهذا يحتج من منع المرسل به إذا روي من وجه آخر ولهذا يجعل الترمذي وغيره الحديث الحسن ما روي من وجهين ولم يكن في طريقه متهم بالكذب ولا كان مخالفاً للأخبار المشهورة وأدنى أحوال هذا اللفظ أن يكون بهذه المنزلة وأيضاً فقد ثبت عن الصحابة أنهم تكلموا بمعناه كما في قول ابن عباس تعمد إلى خلق من خلقي على صورتي والمرسل إذا اعتضد به قول صاحب احتج به من لا يحتج بالمرسل كالشافعي وغيره وأيضاً ثبت بقول الصحابة ذلك ورواية التابعين كذلك عنهم أن هذا كان مطلقاً بين الأئمة ولم يكن منكوراً بينهم وأيضاً فعلم ذلك لا يؤخذ بالرأي وإنما يقال

توقيفاً ولا يجوز أن يكون مستند ابن عباس أخبار أهل الكتاب الذي هو أحد الناهين لنا عن سؤالهم ومع نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تصديقهم أو تكذيبهم فعلم أن ابن عباس إنما قاله توقيفاً من النبي صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري عن ابن شهاب عن عبيد الله عن عبد الله أن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسولكم أحدث الكتب عهداً بالرحمن تقرؤونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم الكتب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم الآية فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستنداً فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ ذلك عن أهل الكتاب فلم يبق إلا أن يكون أخذ من الصحابة الذين أخذوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الوجوه كلها مع أنها مبطللة لقول من يعيد الضمير في قوله على آدم فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأن الله تعالى خلق آدم على صورة نفسه وبهذا حصل الجواب عما يذكر من كون الأعمش مدلساً حيث يقدم على رواية مثل هذا الحديث ويتلقاه عنه العلماء ويوافقوه الثوري والعلماء على روايته عن ذلك الشيخ بعينه وكذلك قوله حبيب مدلس فقد أخذه عنه هؤلاء الأئمة وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالنوراة فإن في السفر الأول منها سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها وقد قدمنا أنه يجوز الاستشهاد بما عند أهل الكتاب إذا وافق ما يؤثر عن نبينا بخلاف ما لم نعلمه إلا من جهتهم فإن هذا لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم ثم إن هذا مما لا غرض لأهل الكتاب في افتراءه على الأنبياء بل المعروف من حالهم كراهة وجود ذلك في كتبهم وكتمانه وتأويله كما قد رأيت ذلك مما شاء الله من علمائهم ومع هذا الحال يمتنع أن يكذبوا كلاماً يثبتونه في ضمن التوراة وغيرها وهم يكرهون وجوده عندهم وإن قيل الكاره لذلك غير الكاتب له فيقال هو موجود في جميع النسخ الموجودة في الزمان القديم في جميع الأعصار والأمصار من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأيضاً فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراءً ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم مادون ذلك وقد عاجهم الله في القرآن بما دون ذلك مما هو دون ذلك فلو كان هذا عيباً لكان عيب الله لهم أعظم وذمهم عليه أشد)).

قلت: وقد أطال شيخ الإسلام رحمه الله النفس حول هذه المسألة جداً، ورد على كل من صرف الحديث عن ظاهره، وقد أطلت في النقل عنه لنفاسة ما ذكره رحمه الله تعالى.

وشاهدنا من هذا أنه لا يلزم من كون صورة آدم كصورة الله تعالى التمثيل.



المثال الثالث

ما رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١١٠) عَنْ ثَابِتِ بْنِ الصَّحَّاحِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)).

قالت: وفي هذا الحديث تشبيهان:

الأول: تشبيه اللعن بالقتل. وهذا تشبيه لا يقتضي التماثل بين اللعن والقتل من كل وجه فمن لعن على وجه الخطأ فلا تلزمة دية قتل الخطأ ولا الكفارة، ومن لعن عمداً لا يقاصص به ولا يطالب بالدية.

ومما قاله العلماء في معنى التشبيه **قول الحافظ ابن حجر** رحمه الله في [فتح الباري] (١/ ١١٣):

((وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: "**لعن المسلم كقتله**" فلا يخالف هذا الحديث لأنَّ المشبه به فوق المشبه والقدر الذي اشتركا فيه بلوغ الغاية في التأثير هذا في العرض وهذا في النفس والله أعلم)).

رحمه الله في [فتح الباري] (١٠/ ٤٦٧):

((وقوله: "**لعن المسلم كقتله**" أي لأنَّه إذا لعنه فكأنَّه دعا عليه بالهلاك)).

وقال العلامة ابن بطال رحمه الله في [شرح البخاري] (٦/ ١٠٤):

((وقوله: "**ولعن المؤمن كقتله**" فيه تأويلان. قال المهلب: وهو معنى قوله الطبري: اللعن في اللغة هو الإبعاد. فمن لعن مؤمناً فكأنَّه أخرجه من جماعة الإسلام، فأفقدتهم منافعه وتكثير عددهم، فكان كمن أفقدتهم منافعه بقتله، ويفسر هذا قوله للذي لعن ناقتة: "**انزل عنها فقد أجيبت دعوتك**" فسرحتها ولم ينتفع بها أحد بعد ذلك، فأفقد منافعتها لما أجيبت دعوته، فكذلك يخشى أن تجاب دعوة اللاعن فيهلك الملعون. والتأويل الآخر: أنَّ الله حرم لعن المؤمن كما حرم قتله فهما سواء في التحريم، وهذا يقتضي تحذير لعن المؤمنين والزجر عنه)).

وقال رحمه الله (٩/ ٢٩٠): ((قال الطبري: وقوله عليه السلام: "**لعن المؤمن كقتله**" يريد في بعض معناه لا في

الإثم والعقوبة، ألا ترى أنَّ من قتل مؤمناً أنَّ عليه القود ومن لعنه لا قود عليه. واللعن في اللغة الإبعاد من الرحمة، وكذلك القتل إبعاد المقتول من الحياة التي يجب بها نصره المؤمنين وعون بعضهم لبعض وقد قال عليه السلام: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**"، وكذلك قوله: "**من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله**" لما أجمع المسلمون أنَّه لا قتل عليه في رميه له بالكفر، علم أنَّ التشبيه إنما وقع بينهما في معنى يجمعهما وهو ماقلناه أنَّ اللعن الإبعاد من الرحمة كما أنَّ القتل إبعاد من الحياة وإعدام منها، وقد بعض العلماء: إنَّ معنى قوله: "**لعن المؤمن كقتله**" يريد في تحريم ذلك عليه وقد ذكرته في كتاب الإيمان والنذور)).

❦ وقال العلامة القرطبي رحمه الله في [المفهم] (٢ / ٧٧-٧٨): ((وقوله: "ولعن المؤمن كقتله"، أي: في الإثم.

ووجهه: أن من قال لمؤمن: لعنه الله، فقد تضمن قوله ذلك إبعاده عن رحمة الله تعالى التي رحم بها المسلمين، وإخراجه من جملة من جملتهم في أحكام الدنيا والآخرة، ومن كان كذلك، فقد صار بمنزلة المفقود عن المسلمين بعد أن كان موجوداً فيهم؛ إذ لم ينتفع بما انتفع به المسلمون، ولا انتفعوا به؛ فأشبه ذلك قتله.

وعلى هذا: فيكون إثم اللاعن كإثم القاتل، غير أن القاتل أدخل في الإثم؛ لأنه أفقد المقتول حساً ومعنى، واللاعن أفقده معنى، فإثمه أخف منه، لكنهما قد اشتركا في مطلق الإثم، فصدق عليه أنه مثله، والله أعلم ((.

❦ وقال العلامة النووي رحمه الله في [شرح مسلم] (١ / ٢٢٣):

((وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَنَ الْمُؤْمِنُ كَقَتْلِهِ" فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي أَصْلِ التَّحْرِيمِ وَإِنْ كَانَ الْقَتْلُ أَغْلَظَ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ، وَقِيلَ: غَيْرَ هَذَا مِمَّا لَيْسَ بِظَاهِرٍ ((.

والآخر: تشبيه رمي المؤمن بالكفر كقتله.

❦ وقال العلامة ابن بطال رحمه الله في [شرح البخاري] (٦ / ١٠٤):

((وكذلك معنى قوله: "من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله" يعني في تحريم ذلك عليه - والله أعلم ((.

❦ وقال العلامة العيني رحمه الله [عمدة القاري] (٣٣ / ٤٨٩):

((قوله: "ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله" يعني في الحرمة، وقيل لأن نسبته إلى الكفر الموجب لقتله كالقتل لأن المتسبب للشيء كفاعله ((.



المثال الرابع

ما رواه أحمد (١٧٩٦٤)، وأبو داود (٤٩١٥) من طريق حيوة، عن أبي عثمان الوليد بن أبي الوليد، عن عمران بن أبي أنس، عن أبي خراش السلمي، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((**مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ**)) .

قلت: هذا حديث صحيح.

ومعلوم أن الهجر لا يماثل القتل من كل وجه.

قال العلامة أبو الطيب رحمه الله في [عون المعبود] (٩ / ٢١٩٤): ((أي كإراقة دمه في استحقاق مزيد الإثم لا في قدره)) .

وقال في [فيض القدير] (٦ / ٣٠٤): ((أي مهاجرته سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها والمراد اشتراك المهاجر والقاتل في الإثم لا في قدره ولا يلزم التساوي بين المشبه والمشبه به)) .

قلت: ولعل التشبيه باعتبار عظمة الذنوب، وذلك أن العبد قد يعتدي على أخيه المسلم في عرضه بالسب والشتم والقذف، وقد يعتدي على ماله، وقد يعتدي على دمه فيسفك دمه، فالهجر سنة ليس في العظمة كالاعتداء على العرض ولا المال، بل أعظم ذلك فيشبه الاعتداء على النفس من حيث أصل عظمة الحرمة، وإن كان الاعتداء على النفس حقيقة أعظم في الحرمة كما تدل عليه الأدلة الكثيرة، والأصل في المشبه أو يكون دون المشبه به في لغة العرب.



المثال الخامس

ما رواه أحمد (١٧٨٧٣)، وأبو داود (١٩٨٩) عن أمِّ مَعْقِلٍ قَالَتْ: ((لَمَّا حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَكَانَ لَنَا جَمَلٌ فَجَعَلَهُ أَبُو مَعْقِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَصَابَنَا مَرَضٌ وَهَلَكَ أَبُو مَعْقِلٍ وَخَرَجَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ حَجِّهِ جِئْتُهُ فَقَالَ: "يَا أُمَّ مَعْقِلٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَخْرُجِي مَعَنَا". قَالَتْ لَقَدْ تَهَيَّأْنَا فَهَلَكَ أَبُو مَعْقِلٍ وَكَانَ لَنَا جَمَلٌ هُوَ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ فَأَوْصَى بِهِ أَبُو مَعْقِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: "فَهَلَّا خَرَجْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْحَجَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَمَّا إِذَا فَاتَتْكَ هَذِهِ الْحَجَّةُ مَعَنَا فَاعْتَمِرِي فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهَا كَحَجَّةٍ". فَكَانَتْ تَقُولُ الْحُجُّ حَجَّةٌ وَالْعُمْرَةُ عُمْرَةٌ وَقَدْ قَالَ هَذَا لِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَا أَدرَى أَلِيَّ خَاصَّةً)).

وروى البخاري (١٨٦٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لَأُمِّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: "مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ" قَالَتْ أَبُو فَلَانٍ - تَعْنِي زَوْجَهَا - كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا قَالَ: "فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي")).

وروى البخاري (١٧٨٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَحْجِي مَعَنَا)) قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ فَرَكِبَهُ أَبُو فَلَانٍ وَابْنُهُ - لِزَوْجِهَا وَابْنُهَا - وَتَرَكَ نَاضِحًا نَنْضَحُ عَلَيْهِ قَالَ: ((فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيهِ فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ))، أَوْ نَحْوَهَا قَالَ.

وروى مسلم (١٢٥٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَحْجِي مَعَنَا" قَالَتْ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلَّا نَاضِحَانِ فَحَجَّ أَبُو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضَحُ عَلَيْهِ قَالَ: "فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً")).

قلت: فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم العمرة برمضان بحجة، ومعلوم أنه لا يلزم من هذا التشبيه التماثل من كل وجه إذ لو لزم ذلك لكانت العمرة في رمضان مسقطاً لحجة الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٦ / ٢٩٣-٢٩٤):

((لَأَنَّ الْمُعْتَمِرَ فِي رَمَضَانَ إِنْ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ فَقَدْ أَتَى بِسَفَرٍ كَامِلٍ لِلْعُمْرَةِ ذَهَاباً وَإِيَاباً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ فَاجْتَمَعَ لَهُ حُرْمَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحُرْمَةُ الْعُمْرَةِ وَصَارَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ شَرَفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ يَنَاسِبُ أَنْ يَعْدَلَ بِمَا فِي الْحَجِّ فِي شَرَفِ الزَّمَانِ وَهُوَ أَشْهُرُ الْحَجِّ وَشَرَفِ الْمَكَانِ. وَإِنْ كَانَ الْمَشْبَهُ لَيْسَ كَالْمَشْبَهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ حَجَّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ نَسْكَاً مُكَفِراً أَيْضاً بِخِلَافِ مَنْ تَمَتَّعَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ فَإِنَّ هَذَا هُوَ حَاجٌ مُحْضٌ وَإِنْ كَانَ مَتَمَتَّعاً وَهَذَا يَكُونُ دَاخِلاً فِي الْحَجِّ مِنْ حِينَ يَحْرُمُ بِالْعُمْرَةِ. يَبِينُ هَذَا أَنَّ بَعْضَ طَرِيقِهِ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: "عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي" وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَرَادَهُ أَنَّ عُمْرَتَكَ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي فَإِنَّهَا كَانَتْ قَدْ أَرَادَتْ الْحَجَّ مَعَهُ فَتَعَذَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا بِمَا يَقُومُ مَقَامَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا مَنْ كَانَ بِمَنْزِلَتِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَالِ: أَنَّ عُمْرَةَ الْوَاحِدِ مَنَّا مِنَ الْمِيقَاتِ أَوْ مِنْ مَكَّةَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعَهُ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالْإِضْطِرَارِ أَنَّ الْحَجَّ التَّامَّ أَفْضَلُ مِنْ عُمْرَةِ رَمَضَانَ وَالْوَاحِدِ مَنَّا لَوْ حَجَّ الْحَجَّ الْمَفْرُوضَ لَمْ يَكُنْ كَالْحَجِّ مَعَهُ فَكَيْفَ بِعُمْرَةِ

وغاية ما يحصله الحديث: أن تكون عمرة أحدنا في رمضان من الميقات بمنزلة حجة وقد يقال هذا لمن كان أراد الحج فعجز عنه فيصير بنية الحج مع عمرة رمضان كلاهما تعدل حجة لا أحدهما مجرداً. وكذلك الإنسان إذا فعل ما يقدر عليه من العمل الكامل مع أنه لو قدر لفعله كله فإنه يكون بمنزلة العامل من الأجر. كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم"** وفي الصحيح عنه أنه قال: **"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً"** وكذلك قال في الضلالة وشواهد هذا الأصل كثير ((.

قلت: ومن سوء الفهم في هذا الحديث الاحتجاج به على كثرة الاعتمار في رمضان لمن كان في مكة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [تهذيب سنن أبي داود] (١/ ٤٦١-٤٦٢):

((والجملة: ففعل من أنزلت عليه تفسيرها، وتبيين المراد منها، وبالله التوفيق. وهذا موضع يغلط فيه كثير من قاصري العلم، يحتاجون بعموم نص على حكم، ويغفلون عن عمل صاحب الشريعة وعمل أصحابه الذي يبين مراده، ومن تدبر هذا علم به مراد النصوص، وفهم معانيها. وكان يدور بيني وبين المكيين كلام في الاعتمار من مكة في رمضان وغيره. فأقول لهم: كثرة الطواف أفضل منها، فيذكرون قوله: **"عمرة في رمضان تعدل حجة"**، فقلت لهم في أثناء ذلك: محال أن يكون مراد صاحب الشرع العمرة التي يخرج إليها من مكة إلى أدنى الحل، وأنها تعدل حجة، ثم لا يفعلها هو مدة مقامه بمكة أصلاً، لا قبل الفتح ولا بعده، ولا أحد من أصحابه، مع أنهم كانوا أحرص الأمة على الخير، وأعلمهم بمراد الرسول، وأقدرهم على العمل به. ثم مع ذلك يرغبون عن هذا العمل اليسير والأجر العظيم! يقدر أن يحج أحدهم في رمضان ثلاثين حجة أو أكثر، ثم لا يأتي منها بحجة واحدة، وتختصون أنتم عنهم بهذا الفضل والثواب، حتى يحصل لأحدهم ستون حجة أو أكثر! هذا ما لا يظنه من له مسكة عقل. وإنما خرج كلام النبي صلى الله عليه وسلم على العمرة المعتادة التي فعلها هو وأصحابه، وهي التي أنشئوا السفر لها من أوطانهم، وبها أمر أم مقل، وقال لها: **"عمرة في رمضان تعدل حجة"** ولم يقل لأهل مكة: اخرجوا إلى أدنى الحل فأكثرُوا من الاعتمار، فإنَّ عمرة في رمضان تعدل حجة. ولا فهم هذا أحد منهم. وبالله التوفيق ((.

قلت: ومن سوء الفهم في هذا الحديث الاستغناء بعمرة رمضان عن حج التطوع، باعتبار أنَّ العمرة في رمضان تعدل حجة، وهذا فهم سقيم فإنَّ كون الشيء يعدل الشيء فإمَّا يكون في الكم لا في الكيف، كقول القائل: فلان معه ألف دينار يعدل ما عند فلان من المطعم والمشرب والملبس، ومعلوم أنَّ صاحب الألف وإن كان عنده ما يعدل ما عند الآخر لكنه لا يستغني بما عنده، وفي الحج أعمال لا وجود لها في العمرة يحتاج المسلم لها، وسيأتي تقرير لمعنى عدل الشيء للشيء في كلام شيخ الإسلام في كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن.



المثال السادس

ما رواه مسلم (١١٦٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)).

وهذا التشبيه بصيام الدهر باعتبار أن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان بعشرة أشهر والست بشهرين. وهذا التشبيه ليس من كل وجه إذ لو كان كذلك لأجزأ من عليه كفارة شهرين متتابعين أن يكتفي بالست بعد رمضان عنهما.

وليس المراد به التماثل بالأجر من كل وجه، إذا لو كان هذا هو المراد لاكتفى به الشخص عن صيام الاثنين والخميس والأيام البيض وثلاثة أيام من كل شهر وعن صوم عرفة وعاشوراء، وصيام أكثر شعبان، بل وعن صيام داود عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء بيان معنى الحديث فيما رواه أحمد (٢٢٧٧٦)، وابن ماجه (١٧١٥) عَنْ ثَوْبَانَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرٌ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ فَذَلِكَ تَمَامُ صِيَامِ السَّنَةِ)).

قلت: إسناده أحمد وابن ماجه حسن، لكن رواه الدارمي (١٧٥٥)، والنسائي في [الكبرى] (٢٨٦٠) بسند صحيح.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الجواب الكافي] (ص: ١٤٨):

((وَأَصْرَحَ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ»، وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ قَرَأَ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ »، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ثَوَابَ فَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَبْلُغْ ثَوَابَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَيَكُونُ قَدْرُهُمَا سَوَاءً)).



المثال السابع

ما رواه مسلم (٦٥٦) عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**)) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الجواب الكافي] (ص: ١٤٨):

((وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ** »، أَيُّ: مَعَ الْعِشَاءِ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ، وَأَصْرَحَ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ** »، وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **مَنْ قَرَأَ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ** »، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ثَوَابَ فَاعِلٍ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَمْ يَبْلُغْ ثَوَابَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَيَكُونُ قَدْرُهُمَا سَوَاءً، وَلَوْ كَانَ قَدْرُ الثَّوَابِ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لِمُصَلِّي الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مَنَفَعَةٌ غَيْرُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ - بَعْدَ الْإِيمَانِ - أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْرِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)) .

قلت: وبهذا يتبين أنَّ المراد بذلك أنَّ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَإِنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَيَكُونُ إِذَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِالْفِعْلِ أَعْظَمَ أَجْراً، وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَنْ صَلَّى مَعَ ذَلِكَ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَيَكْتُبُ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ لَكِنْ إِذَا قَامَ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ فَهُوَ أَعْظَمُ أَجْراً وَهَذَا فِيمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ ذَلِكَ عَادَةً مُسْتَمِرَّةً لَهُ.

ووقع خطأ آخر في فهم التشبيه الوارد في الحديث، وهو الاحتجاج به على عدم وجوب صلاة الجماعة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [حكم تارك الصلاة] (ص: ١١٣):

((قالوا: وفي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله**". قالوا: فشبه فعلها في جماعة بما ليس بواجب، والحكم في المشبه كهو في المشبه به أو دونه في التأكيد)) .

وأجاب عن ذلك رحمه الله فقال (ص: ١١٥):

((وأما استدلالكم بحديث عثمان بن عفان: "**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل**". فمن أفسد الاستدلال وأظهر ما في نقضه عليكم قوله صلى الله عليه وسلم: "**من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر**". وصيام الدهر غير واجب وقد شبه به الواجب. بل الصحيح أنَّ صيام الدهر كله مكروه فقد شبه به الصوم الواجب فغير ممتنع تشبيه الواجب بالمستحب في مضاعفة الأجر على الواجب القليل حتى يبلغ ثوابه ثواب المستحب الكثير)) .



المثال الثامن

ما رواه البخاري (٥٠١٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)).

وروى مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)). قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالَ: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)). وفي رواية لمسلم في هذا الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ جَزَأُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ)).

وروى مسلم (٨١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((احْشُدُوا فَإِنِّي سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)). فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)).

وجاء في بعض الأحاديث خارج الصحيح بذكر النسيء، ومن ذلك ما رواه النسائي في [الكبرى] (١٠٤٥٣)

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَانَ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)). قلت: هذا حديث صحيح.

وما رواه الطبراني في [الكبير] (٨٥٨٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: ((مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَانَ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)).

قلت: إسناد حسن وله حكم الرفع.

وجاء مرفوعاً صريحاً في عدة أحاديث.

وليس المراد بهذا التشبيه استواء أجر من قرأ بسورة الإخلاص مع أجر من قرأ القرآن من كل وجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٧ / ٢٠٧-٢٠٨):

((وأما توجيه ذلك : فقد قالت طائفة من أهل العلم: إِنَّ الْقُرْآنَ بِاعْتِبَارِ مَعَانِيهِ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ: ثُلُثٌ تَوْحِيدٍ، وَثُلُثٌ قِصَصٍ، وَثُلُثٌ أَمْرِ وَنَهْيٍ. وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هِيَ صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَنَسْبِهِ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْكَلَامُ إِمَّا أَنْشَاءٌ وَإِمَّا إِخْبَارٌ فَالْإِنْشَاءُ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ كَالْإِبَاحَةِ وَنُحُوهَا وَهُوَ الْإِحْكَامُ.

والإخبار: إمّا إخبار عن الخالق وإمّا إخبار عن المخلوق فالإخبار عن الخالق هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته والإخبار عن المخلوق هو القصص وهو الخبر عمّا كان وعمّا يكون ويدخل فيه الخبر عن الأنبياء وأممهم ومن كذبهم والإخبار عن الجنة والنار والثواب والعقاب. قالوا: فهذا الاعتبار تكون ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن لما فيها من التوحيد الذي هو ثلث معاني القرآن.

بقي أن يقال: فإذا كانت تعدل ثلث القرآن مع قلة حروفها كان للرجل أن يكتفي بها عن سائر القرآن. فيقال في جواب ذلك: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّها تعدل ثلث القرآن" وعدل الشيء - بالفتح - يقال على ما ليس من جنسه كما قال تعالى: ﴿أَوْ عَدَلِ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ فجعل الصيام عدل كفارة وهما جنسان. ولا ريب أنّ الثواب أنواع مختلفة في الجنة فإنّ كل ما ينتفع به العبد ويلتذ به من مأكول ومشروب ومنكوح ومشوم هو من الثواب وأعلاه النظر إلى وجه الله تعالى وإذا كانت أحوال الدنيا لاختلاف منافعها يحتاج إليها كلها وإن كان بعضها يعدل ما هو أكبر منه في الصورة كما أنّ ألف دينار تعدل من الفضة والطعام والثياب وغير ذلك ما هو أكبر منها ثم من ملك الذهب فقد ملك ما يعدل مقدار ألف دينار من ذلك وإن كان لا يستغني بذلك عن سائر أنواع المال التي ينتفع بها؛ لأن المساواة وقعت في القدر لا في النوع والصفة فكذلك ثواب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإن كان يعدل ثواب ثلث القرآن في القدر فلا يجب أن يكون مثله في النوع والصفة، وأمّا سائر القرآن ففيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ما يحتاج إليه العباد فلهذا كان الناس محتاجين لسائر القرآن ومتفيعين به منفعة لا تغني عنها هذه السورة وإن كانت تعدل ثلث القرآن ((.

قلت: فهذه جملة من الأمثلة الدالة على أنّه لا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء المماثلة من جميع الوجوه، والأمثلة في ذلك كثيرة، وإمّا ذكرت بعض الأمثلة ويحتذى فيما سواها حذوها، وفيما ذكرناه كفاية.



كتبه: أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي في يوم الأربعاء ٢٧/ جماد الأولى/ ١٤٤١هـ.

فهرست الموضوعات.

المقدمة.....	٢
الفصل الأول: بيان أنَّ التشبيه يستقيم أن يكون بوجه من الوجوه.....	٤
الفصل الثاني: في ذكر جملة من الأمثلة في التشبيه مما يخطئ في فهمه كثير من الناس.....	٨
المثال الأول قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كُتِبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ	
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].....	٨
المثال الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)).....	١٠
المثال الثالث قول النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ	
بِشَيْءٍ عَذَّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)).....	١٩
المثال الرابع قول النبي صلى الله عليه وسلم ((مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْلِكَ دِمِهِ)).....	٢١
المثال الخامس: حديث ((فَاعْتَمِرِي فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهَا كَحَجَّةٍ)).....	٢٢
المثال السادس حديث: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)).....	٢٤
المثال السابع قول النبي صلى الله عليه وسلم ((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى	
الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ)).....	٢٥
المثال الثامن: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)).....	٢٦